

الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق السيئات

تقديم عام

يؤمن المسلم إيماناً صادقاً عميقاً بأن الله سبحانه وتعالى قد ضمن له رزقه وقدره له منذ نشأته ، وعليه أن يسعى ويضرب في الأرض ويأخذ بالأسباب ، للحصول على الرزق الحلال الطيب ، ودليل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فوب السماء والأرض إنه لعلق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ (الذاريات : ٢٢-٢٣) ، ويقرن الله السعي بالتوكل فلا يغنى أحدهما عن الآخر ، فيقول ﷺ : ﴿ فامشوا في مناكبها واكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (الملك : ١٥) ، كما يقول الرسول ﷺ : " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بظاناً " (رواه الترمذى) ، فالطير يأخذ بالأسباب بأن يطير من عشه ويتحرك في الصباح خاوى البطن ، ويرجع في المساء وقد ملاً بطنه بالطعام ، وتلك آية من آيات الله.

ومن موجبات تحقيق البركة في الرزق : الإيمان والتقوى والأخذ بالأسباب والتوكل على الله ، وإتقان العمل وتحسينه ، ولقد أشار الله عز وجل إلى ذلك فقال : ﴿ ولو أن أهل القرو آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ (الأعراف : ٩٦) ، وقوله عز وجل : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (الطلاق : ٣) ، وعندما يلتزم المسلم بهذه الموجبات ، يبارك الله له في رزقه ويتقبل منه عبادته ويستجيب لدعائه ويجعل حياته طيبة سهلة ميسرة ويفوز برضاء الله في الآخرة .

وعندما يعصى العبد المسلم ربه ويخالف أمره ، ويرتكب الذنوب والخطايا والسيئات فإن هذا يقسى قلبه ويمرضه وربما يهلكه ، كما يحق رزقه ، ويقلل من عمره وعلمه وعمله ، ولقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية التي تؤكد ذلك منها قول الله عز وجل : ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ (المطففين : ١٤) ، وقوله عز وجل : ﴿ **فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ** ﴾ (غافر : ٢١) ، وقوله ﷻ : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ** ﴾ (المائدة: ٤٩) .

ولقد حذرنا رسول الله ﷺ من ارتكاب المعاصي والذنوب والسيئات فقال: " إياكم والمعصية ، فإن العبد ليدنّب الذنّب الواحد فينسى به الباب من العلم ، وإن العبد ليدنّب الذنّب فيحرم قيام الليل ، وإن العبد ليدنّب الذنّب فيحرم به رزقا كان قد هين له " ، ثم تلى رسول الله ﷺ قول الله ﷻ : ﴿ **فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَانُومُونَ ، فَاصْبِرْ كَاصْبِرِمْ** ﴾ (القلم: ١٩-٢٠) ، " قد حرّموا خير جنّتهم بذنّبهم " (أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه).

ولقد قص الله علينا في القرآن الكريم قصصاً عن أثر المعاصي والذنوب والسيئات على أرزاق الأقبام والشعوب ، كما يوجد في الواقع المعاصر نماذج حياة واقعية تبرز العلاقة السببية بين الذنوب والسيئات ومحق البركة والحرمان من الرزق للعبارة ولنستخلص منها الدروس ، لنتوب ونتصالح مع الله بالاستغفار .

ومن ناحية أخرى ، نجد بعض العصاة والمذنبين ، قد بسط الله ﷻ لهم في الرزق وأعطاهم المال والأولاد والسلطان فهذا ابتلاء واستدراج ، مصداقاً لقول الله عز وجل :

﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيراً لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴾ (آل عمران : ١٧٨) ، وفي مثل هؤلاء يقول الرسول ﷺ : " إن الله عز وجل ليملئ للظالم ، فإذا أخذه لم يفلته " (متفق عليه) ، وهذا الابتلاء والاستدراج من سنن الله ﷻ في خلقه وهي مستمرة منذ خلق آدم ﷺ إلى يومنا هذا ، فعندما عصى آدم ربه أخرجه الله من الجنة وعندما قال قارون : إنما أوتيته على علم عندي ، خسف الله به وبداره الأرض ، وعندما قال فرعون أنا ربكم الأعلى : أغرقه الله كما نشاهد في هذه الأيام نماذج من العصاة المذنبين من الأفراد والشعوب المستدرجين ولقد أخذ الله بعضهم بذنوبهم عبرة لعل الآخرين يرجعون إلى الله ويتوبون حتى يبذل الله سيئاتهم حسنات .

ومن رحمة الله عز وجل أن جعل باب التوبة مفتوحاً أمام هؤلاء العصاة والمذنبين ليتوبوا ويستغفروا الله لعلاج قلوبهم المريضة ، ولإصلاح نفوسهم الأمارة بالسوء ، ولتطهير أرزاقهم الملوثة بالحرام والخبائث .

واستشعاراً لأهمية أن يعرف المسلم الطريق إلى تحقيق البركة في رزقه وعمره وعلمه وعمله ويتجنب المعاصي والسيئات والرذائل التي تمحق هذا الرزق ، وكيف يطهر رزقه مما علق به من الحرام والخبائث ، عزمت على إعداد هذا الكتاب واخترت له عنواناً طويلاً نسبياً ليحمل المضمون الذي أقصده هو : [الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق الذنوب والسيئات] ،

ولقد اعتمدت في إعداد هذا الكتاب على القرآن والسنة وأقوال العلماء والفقهاء ، وعلى واقع الأفراد والشعوب في الأسلاف الخالية وفي الواقع المعاصر ، كما تم تحقيقه من النواحي الشرعية.

وامتنالاً لأمر الله سبحانه وتعالى ، واقتداءً بهدى الرسول الكريم ﷺ ، يطيب لى أن أدعو الله عز وجل أن يجزى خيراً كل من عاون فى نسخ ومراجعة وتحقيق هذا الكتاب وأخص بالذكر فضيلة الشيخ محمد الأنور من علماء الأزهر الشريف ، والأساتذ إسلام عباس والدكتور طارق محمود وإبنى الدكتور محمد حسين والأخ حسام الموائى وأقول لهم جميعاً ما علمنى رسول الله ﷺ (جزاكم الله خيراً) .

كما كان لأسرتى (زوجتى وأولادى وأزواج بناتى الحاضر منهم فى القاهرة ، والغائب عنا فى انجلترا) الدور المعنوى القيم فى حثى وتقوية عزيمتى على المضى قدما فى الانتهاء من إعداد هذا الكتاب مضحين بكثير من حقوقهم نحوى. فادعو الله أن يثيبهم ويبارك فى أرزاقهم وأعمالهم وأعمارهم ويجمعنا معهم فى جناته .

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعل هذا العمل صالحاً ولوجهه خالصاً ليس فيه أى شىء لهذه النفس ، وأن يجعل منه النفع الكثير للمسلمين .

المؤلف

دكتور حسين شحاته
الأساتذ بجامعة الأزهر

المحرم ١٤٤١هـ

القاهرة فى : إبريل ٢٠٠٠م